رأي النفيسي والرأي الآخر: المسكوت عنه في المشهد العراقي ... أحداث الفلوجة أنموذجا

15-4-2004

حاجة المقاومة العراقية للتخطيط الاستراتيجي في هذا الوقت الذي تمر فيه، فلا شك أن المقاومة حققت مكاسب كثيرة، على جميع الأصعدة، وفي شتى المستويات، وهي في خضم العدوان، ينحصر تفكيرها شاءت أم أبت في زوايا محددة تمليها الظروف التي تمر بها، لكن تبقى هناك جبهات عديدة بحاجة إلى من ينظّر لها، ويدمج التخطيط لها والتفكير بها بتلك النتائج التي توصلت إليها العقول من داخل دوائر المقاومة العراقية، لهذا فإن الجميع مطالب، من العلماء، والدعاة، والمخططون الاستراتيجيون، والمفكرون، في الخارج، المساهمة الجادة والحية فيها، ومن تلك الجبهات المشار إليها:

بقلم هيثم بن جواد الحداد

كثيرة هي الأزمات الرهيبة التي تصيب الأمة المسلمة في هذه الأيام، فلا نكاد نلتقط أنفاسنا لاستراحة المحارب، إلا وتتجدد المواجهات الدامية في بقعة أخرى من جسدنا الجريح، حتى نصل إلى حالة يتعذر معها التفكير والتخطيط الاستراتيجي المتوازن والبعيد المدى ...

أحداث العراق الآن، بل لنقل أحداث الفلوجة، أثارت العلماء والمفكرين والأدباء للحديث عن هذا الواقع المؤلم؛ تارة لشد العزائم، وأخرى لبيان الورطة الأمريكية، وفي النادر القليل، لوضع تحليل شرعي للوضع القائم، الجميع يشعر بوجوب المساعدة ولو بالقليل الممكن ...

لكن يبدو أن هناك قضيتين محوريتين لم يأخذ الحديث عنهما حجمه المناسب في الأدبيات الإسلامية الصادرة بهذا الخصوص، وليس هناك شك في أن المقاومة العراقية بأشد الحاجة إليها، بل إن واجب النصح المأخوذ على أهل العلم –مهما بلغت درجتهم في العلم– بيان ما يعرفونه من الحق، أو المساهمة في هذا البيان "وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ

{187} آل عمران

أما أولاهما: فهو حاجة المقاومة العراقية للتخطيط الاستراتيجي في هذا الوقت الذي تمر فيه، فلا شك أن المقاومة حققت مكاسب كثيرة، على جميع الأصعدة، وفي شتى المستويات، وهي في خضم العدوان، ينحصر تفكيرها شاءت أم أبت في زوايا محددة تمليها الظروف التي تمر بها، لكن تبقى هناك جبهات عديدة بحاجة إلى من ينظّر لها، ويدمج التخطيط لها والتفكير بها بتلك النتائج التي توصلت إليها العقول من داخل دوائر المقاومة العراقية، لهذا فإن الجميع مطالب، من العلماء، والدعاة، والمخططون الاستراتيجيون، والمفكرون، في الخارج، المساهمة الجادة والحية فيها، ومن تلك الجبهات المشار إليها:

1- مراحل العمل العسكري التي ينبغي أن تسلكها المقاومة إلى جانب مراحل العمل السياسي، فما من شك أن أي نصر تحققه حركات التحرر ينهض على ساقين إحداهما عسكرية، وأخرى سياسية، فما هي صورة هذا العمل، وما هي مراحله.
وقد مر العالم الإسلامي بتجارب مشابهة، لعل أبرزها التجربة الفلسطينية، فبعد الاحتلال البريطاني نشأت حركات مقاومة فلسطينية، وإسلامية، لكن النجاح –والذي يقاس إلى درجة كبيرة بالتحرر- لم يكن حليفها، فما هي الأسباب، وما هي الأخطاء التي ارتكبتها المقاومة، وماذا كان عليها أن تفعل لتلافي بعض المنعطفات الخطرة التي أودت أو كادت أن تودي بحياتها، ما هو واقعها الآن؟ هل استفادت من التجارب السابقة؟ ...هذه وغيرها محاور أساسية في نقاش ساخن يتم من أجل التوصل إلى خطة استراتيجية شاملة لمراحل العمل العسكري والسياسي الذي تنصح المقاومة بسلوكه.
2- موقف المقاومة من العلاقات العراقية- العراقية، فالتركيبة العراقية العرقية والدينية، والطائفية من أعقد التركيبات في العالم العربي كله، الأمر الذي يفرض معالجة عميقة حساسة لتلك الطبيعة وانعكاساتها السياسية والعسكرية على الوضع القائم الآن في العراق.
فلدينا من جهة العلاقات المعقدة والمتشابكة بين المعسكرين السني والشيعي، السنة ككتلة عقدية بجميع أطيافها، والشيعة ككتلة عقدية بجميع أطيافها ...وهل انتهى حقا ما سمي بشهر العسل الأمريكي الشيعي، وإذا كان ذلك حقيقيا لا صوريا، فكيف يمكن استثماره ..
فإذا خرجنا إلى دائرة أخرى بنظرة عرقية، لدينا العلاقات العربية، الكردية، فالمعسكر الكردي حتى الآن لم يتدخل في الصراع بشكل واضح ومباشر، هل يبقى كما هو عليه يمثل حالة من الحياد السلبي، أم يتدخل بصورة إيجابية حذرة، أم أنه يمكن أن يقوم بدور فعال ومؤثر، وما هي انعكاسات موقفه على مستقبله السياسي والعسكري، بل على علاقاته الكردية الكردية...
3- فعالية استخدام أساليب العسكرية النفسية، وكيفية توظيفها الفعال لصالح المقاومة العراقية على مدى بعيد، وأعني بها: خطف الأجانب، والتهديد بقتلهم..
أما القضية الثانية فهي: الحكم الشرعي من الحرب على العراق، هذه قضية حساسة، وشائكة، وخطيرة، وهي دائرة محاذير بالنسبة لكثير من أهل العلم القادرين على الحديث في هذه القضية، وهنا قد يقلل من أهمية هذا الجانب، لأسباب كثيرة، فقد يقال: ما هو الأثر العملي له؟ وربما يقال أن القضية تجاوزت الحديث عن الحكم
الشرعي، أو أن الخوف من انعكاسات ذلك على الشباب المتحمس في البلاد الإسلامية، وما يثيره ذلك من قلائل، أو ردود فعل غير منضبطة، الخوف من ذلك يمنع الحديث بصراحة ووضوح عنها، لكن في ظني والله أعلم أنه يمكن وكل سهولة تجاوز هذه المحاذير، كما أنها تتضاءل في مقابل كفة المصالح المترتبة عليها، والتي يمكن أن نذكر منها:
- إبراء الذمة أمام الله جل وعلا، وقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم، لتبيننه للناس ولا تكتمونه، وكتمان العلم، خيانة لله ولرسوله، وللمؤمنين، وإزهاق لمبدأ الصدع بكلمة الحق، وترك الناس في العماية ...

- شحذ الهمم للعمل الجاد لنصرة العراق وغيرهم، سواء بالنصرة المباشرة أو غير المباشرة.
- تذكير الغافل، وتنبيه الناسي، وكثير ما هم تجاه القضية العراقية أو غيرها.
- إقامة الحجة على المشاركين في العدوان على العراق بصورة غير مباشرة، مثل الأنظمة الإسلامية التي وقفت موقف المتفرج على ما يجري ...
- قد يكون ذلك سببا لتحرك بعض القوى الموجودة على الساحة العراقية، فكثير من تلك القوى تعيش حالة حياد سلبي قاتل للمقاومة ولغيرها، فأين باقي المدن العراقية عن الانتفاضة ضد العدوان الأمريكي من أجل إلهاب الأرض كلها، الأمر الذي سيعجز المحتل الأمريكي عن السيطرة، ويشل حركته المنضبطة، وينقله من حالة الهجوم والسيطرة، إلى حالة الدفاع والارتباك.
- لا شك أنه سيشحذ الهمم لمد يد العون المادي، فقد تحرك المئات من العراقيين بالمؤن والإعانة لإخوانهم من أهل الفلوجة، شعورا بواجب الأخوة، فكيف إذا تعمق الشعور ليصبح خوفا من الإثم وعقاب الله جل وعلا، ولربما أيضا تحركت بعض القوى الشعبية في بعض البلاد العربية فتبدأ في إنشاء لجان لمساعدة المنكوبين من أهل العراق.
- بيان ظلم الظالم، وخطأ المخطئ، مما يساعد على تقويم الوضع الإسلامي والعربي تقويما صحيحا، ويساهم في محاصرة الخطأ والمخطئ معنويا وماديا ...

تلك هي القضيتان الرئيسيتان التي "تجاهلتها" الأطروحات الإسلامية المتعلقة بالوضع العراقي، والتي يمكن ملء الفراغ الناتج عنها، بالحوار الفعال والصريح بين خبرات متنوعة، عسكرية، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، إسلامية، وغير إسلامية، المهم أن تكون مخلصة في إسداء النصح لحركة التحرر العراقية القائمة.

وتبقى إشكالية ليست بالمستعصية تتعلق بطرق إقامة هذه الحوارات، لكن يمكن أن تتجاوز ها بإقامة بعض الندوات بعض البلاد العربية التي يتاح للحريات فيها شيء من النفس، أو بتناول هذه القضية من خلال مواقع الحوار في شبكة الانترنت، أو نحو ذلك.

نسأل الله أن يكشف الغمة، ويلهم أهل العلم القيام بالواجب، والله المستعان